مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

# مسارات

## إضفاء طابع سياسي على عملية حزب الله في عرسال على الحدود اللبنانية السورية

مقدمة
توقيت دقيق: زيارة رئيس الوزراء سعد الحريري إلى واشنطن العاصمة
تحديد صورة تفصيلية للعلاقة الهشَّة بين الجيش اللبناني وحزب الله
إعادة رسم المعادلة الديموغرافية في شمال شرقي لبنان
وضع النقاط على الحروف: عرسال، القصير، الزبداني، وقضية العمق الاستراتيجي
الخلاصة

رقم الإيداع بمكتبة الملك فهد الوطنية:
١٤٣٨/٢٨٦٧
ردمد: ١٦٥٨-٦٩٦٤

# إضفاء طابع سياسي على عملية حزب الله في عرسال على الحدود اللبنانية السورية

# مقدمة

شنَّ مقاتلو حزب الله اللبناني، في ٢١ يوليو ٢٠١٧م، هجومًا عبر جبال القلمون بالقرب من عرسال في محافظة بعلبك - الهرمل في شمال لبنان. وسرعان ما انضمت القوات الجوية السورية إلى الهجوم، الذي كان الهدف منه استئصال جيوب المقاتلين المتحصِّنين الذين ينتمون إلى فرع القاعدة السوري السابق (جبهة النصرة)، التي تغيَّر مسماها في عام ٢٠١٦م ليصبح (جبهة فتح الشام).

أعلن حزب الله انتصاره بعد أسبوع من بدء العملية على المسلحين المحاصَرين في منطقة جرود- عرسال المتنازَع عليها، ونتيجةً لذلك توصلت الأطراف المتحاربة إلى اتفاق أدَّى فيه جهاز الأمن العام اللبناني دور الوسيط. هذا الاتفاق منح جبهة فتح الشام المهزومة فرصة إجلاء أتباعها، وتبادل جثامين القتلى، كما مهَّد لإعادة تسعة آلاف لاجئ سوري إلى وطنهم تباعًا، فضلاً عن نقل المسلحين السوريين من لبنان إلى محافظة إدلب مرورًا بحلب.

وعلى الرغم من وجود بؤر للمسلحين في عرسال منذ عام ٢٠١٢م على الأقل، فإننا نجد أن أحدث مواجهة لهم مع مقاتلي حزب الله على طول الحدود اللبنانية السورية الجرداء يتيح بعض الدروس المهمة التي تستدعي مزيدًا من التدبُّر.

يتناول أول هذه الدروس الموقف الداخلي للحزب في الساحة السياسية اللبنانية، حيث تزامن الهجوم مع زيارة رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري إلى واشنطن العاصمة. وقد ترددت في بيروت أصداء الخطاب العنيف للرئيس الأمريكي المتعلق بحزب الله واحتمال تشديد العقوبات البرلمانية الأمريكية ضده؛ ما جعل زيارة الحريري تلمح الى احتمال إصابة العلاقات الأمريكية اللبنانية بالفتور في المستقبل القريب، مع استمرار الدمج السياسي لحزب الله وقبضته العسكرية على حساب الجيش اللبناني.

كان الجيش اللبناني ضمن ستة مستفيدين أجانب من المساعدات العسكرية الأمريكية، لكنْ يبدو أن هذا الأمر سوف يتغيَّر في عهد الرئيس ترامب، وهو ما يعني إمكان تغيير توازن القوى السياسية العسكرية في لبنان.

الدرس الثاني يتعلق بهجوم عرسال، الذي يلقي الضوء على دور الحزب الذي يزداد اتساعًا بوصفه جزءًا من المعسكر الموالي للأسد في سوريا. فقد طالما تأثرت عرسال بتداعيات الحرب الأهلية على جارتها سوريا. وقد خرجت التوترات في عرسال وما حولها عن نطاق السيطرة بُعيد اندلاع الثورة السورية. فعرسال هي موطنٌ لأغلبية سُنِّية لبنانية، بينما يشكل وادي البقاع منذ الثمانينيات أحد معاقل حزب الله، ومع تعهُّد الأمين العام للحزب حسن نصر الله بولائه للأسد في ربيع عام ٢٠١٣م، خرج مقاتلوه إلى المقدمة كفصيل رسمي على الأراضي السورية، والنتيجة تحوُّل جرود عرسال - التي تحدها جبال القلمون في الشرق ووادي البقاع في الغرب - إلى أرض معركة استُهدفت فيها المناطق المأهولة من الطائفة الشيعية اللبنانية من قِبَل الجماعات السورية المتمردة.

وعلى النقيض من ذلك، وسَّع حزب الله، منذ عام ٢٠١٣م حتى الآن، نطاق وجوده في إقليم القلمون وحجم عتاده؛ حيث شكل الجناح العسكري للحزب عاملاً أساسيًّا في انتصارات النظام السوري؛ بما فيها معركة القصير والزبداني؛ ما جعل حملة الحزب الأخيرة في عرسال تتسبب في اتساع المنطقة العازلة الموالية للأسد على طول الحدود اللبنانية السورية المضطربة.

# توقيت دقيق: زيارة رئيس الوزراء سعد الحريري إلى واشنطن العاصمة

زار رئيس الوزراء اللبناني المنافس القوي لحزب الله سعد الحريري البيتَ الأبيض في واشنطن العاصمة في ٢٥ يوليو. وفي حديثه مع الرئيس ترامب طلب الحريري دعمه في النزاع بين المعسكر الموالي للغرب والقوات الموالية لإيران علانية في بلاده. وَرَدَّ ترامب خلال الاجتماع: «إن حزب الله يشكل تهديدًا للدولة اللبنانية، وشعبها، والمنطقة بأكملها»، فمن وجهة نظره فإن الحزب يهدد إسرائيل - بدعم من طهران - خاصة مع نمو ترسانة أسلحته، كما أنه - في رأيه - أحد أسباب «الكارثة الإنسانية الحاصلة في سوريا».

وبينما أبدى الحريري التزامه العام للحدِّ من أي تأثير أجنبي علني في لبنان، كان أكثر تحفُّظًا فيما يتعلق بعملية حزب الله العسكرية في عرسال. وليس ذلك بالأمر المفاجئ لعددٍ من الأسباب؛ فقد أصبح الحريري رئيسًا للوزراء في ديسمبر ٢٠١٦م في أعقاب عامين ونصف العام تقريبًا من الجمود السياسي، ولكنَّ انتخابه كان له ثمنه؛ فقد جاء قبوله بشكل ضمني من قِبَلِ الرئيس اللبناني ميشيل عون، الذي يعقد حلفًا استراتيجيًّا مع حزب الله. ومع تمتُّع الحزب بدعم رئيس الدولة، كان من العسير على الحريري المخاطرة بالمجاهرة بعلاقته العدائية مع الحزب عند تمثيل بلاده في الخارج.

في مثل هذه الأجواء يأتي إعلان الحريري الصريح عن قيام كتلته البرلمانية بدعم ميشيل عون، قبل تشكيل الحكومة اللبنانية في خريف عام ٢٠١٦م، أمرًا يراه كثير من النقاد أشبه ما يكون بعقد صفقة مع الشيطان، لكنها زادت من فرص اكتساب دعم عون ليصبح الحريري رئيسًا للوزراء في ديسمبر ٢٠١٦م.

وفي ضوء هذه المعلومات يمكننا تفسير التعليقات التي أضافها الحريري في زيارته إلى الولايات المتحدة. فقد وجَّه نقدًا صارمًا للمُشرِّعين الأمريكيين عندما أصدروا عقوبات جديدة على حزب الله، لتُضاف إلى إعلان جناح الحزب شبه العسكري منظمةً إرهابيةً من قِبَلِ وزارة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٩٥م. ومن وجهة نظر الحريري، قد تُسَبِّبُ هذه العقوبات المتسرعة أضرارًا للاقتصاد اللبناني الهش.

ومن ناحية أخرى عَدَّ الرئيس ترامب الجيشَ اللبنانيَّ ثقلًا موازنًا لحزب الله، مشيرًا إلى إمكانية قيام هذا الأمر بمساعدة الجيش اللبناني في الحدِّ من تأثير حزب الله في بيروت. وتحقيقًا لهذا الغرض، دعمت الحكومة الأمريكية الجيش سنوات عدة، ولكنَّ الأحداث الأخيرة كشفت أن هذه الاستراتيجية هي خيال، أكثر منها واقعًا.

وفي الحقيقة، لا يقوم حزب الله بالضغط على الجيش اللبناني بصورة متصاعدة فحسب؛ بل ينافسه أيضًا في سعيه للهيمنة النظامية في تأمين الحدود الشرقية المملوءة بالثغرات في لبنان. والجيش اللبناني هو هيئة لبنانية تصف نفسها بعامل توازن ديمقراطي في مقابل الطوائف الدينية المتعددة؛ فعلى سبيل المثال، فإنه على الرغم من التدخُّل المفتوح لحزب الله في سوريا منذ عام ٢٠١٤، تمكَّن الحزب من استعادة أراضٍ ذات أهمية استراتيجية دون مساعدة الجيش اللبناني في لبنان؛ خصوصًا في عملياته المتعددة على امتداد جبال القلمون.

# تحديد صورة تفصيلية للعلاقة الهشة بين الجيش اللبناني وحزب الله

شَكَّلَ وضع حزب الله في عرسال تأكيدًا صارمًا لرغبته في التحول إلى قوة عسكرية فاعلة في الدولة. وسمحت قوة الدفع التي نتجت من التهدئة في سوريا بإعادة نشر موارد الحزب في المنطقة[١]. ويبدو أن الحزب اختار التوقيت المناسب لحملته في عرسال؛ ففي نهاية شهر يوليو كانت وحدات الجيش اللبناني القريبة من عرسال في حالة تأهُّب، بينما كان الحزب يُطْبِقُ على أتباع جبهة فتح الشام ويحاصرهم من الشمال والجنوب. أما القتال الفعلي، فإن الحزب هو من اشتبك عمليًّا، بينما وفَّر الجيش اللبناني مساعدات لوجيستية واستخباراتية، لكنه امتنع عن القتال وظل محايدًا في النزاع الجاري في سوريا. قد يكون هذا المبدأ فعالاً من الناحية النظرية، ولكنَّ هذا التطور ما يزال مقلقًا؛ إذ سمح بتدفق المقاتلين على امتداد الحدود الشرقية للبنان. وليس من المفاجئ أن نجد حزب الله يملأ هذا الفراغ الأمني بتحوُّله من حركة مقاومة إلى حزب سياسي يشارك في احتكار السلطة بتأمين السلامة الإقليمية للبنان.

وعلى الرغم من تعهُّد حسن نصر الله المستمر بسحب مقاتليه من المناطق المجاورة مباشرةً لعرسال في الأشهر الأخيرة، فما زال الحزب يحافظ على وضعه بتأمين تجمُّعات لبنانية شيعية جنوب عرسال وغرب قرية طفيل. وبين شهري مايو وأغسطس ٢٠١٧م، غيَّر حسن نصر الله رأيه بطريقة هَمَّشَ فيها وجود الجيش اللبناني في جرود عرسال؛ إذ بدأ الترتيب بهدوء لشنِّ الهجوم في يوليو دون أن يظهر كمن نكث وعده بتفكيك تعزيزات الحزب حول عرسال. إن هذا التناقض البلاغي والتنظيمي هو دليل على التأثير المتنامي للحزب في تشكيل السياسات الدفاعية، وعلى النقص الواضح في سلطة الجيش اللبناني في هذا المجال.

أضِف إلى ذلك خطوة حزب الله الحاسمة لإزاحة المقاتلين السوريين عسكريًّا؛ وهو ما أصاب الجيش اللبناني بالحرج، وتحويل العملية في جرود عرسال إلى حملة إعلامية شاملة. وقد ظهر الحزب قوةً رئيسةً قادرة على ردع الإسلاميين السوريين؛ ما أحرج الجيش اللبناني، وأظهر بوضوح أن الميليشيات الشيعية أقل ارتباطًا بالقيود المؤسسية والسياسية العسكرية المحلية مما كانت تأمل بعض الفصائل في الحكومة اللبنانية الجديدة.

يحظى حزب الله بدعم واسع من أفراد الشعب اللبناني، الذين باتوا يشعرون بالاستياء حيال تقييد الدور الذي يجب أن يضطلع به الجيش اللبناني. إن الشعور بانعدام القيادة نيابةً عن الجيش اللبناني يرتبط أيضًا بحقيقة أن هذا الجيش لا يكاد يُظْهِرُ عداءً واضحًا حيال حزب الله. فالحزب أصبح خبيرًا بعد سنوات من قتاله مع الشعب السوري، فضلاً عن مقاومة دامت عشر سنوات ضد إسرائيل، وقد اكتسب بذلك خبرات قتالية حاسمة.

ومن ناحية أخرى أضاع الجيش اللبناني منذ عام ٢٠١٤م عدة فرص لصياغة وتطبيق أي استراتيجية موسعة لمعالجة وجود جبهة النصرة وتنظيم داعش في شمال شرقي لبنان. وبينما أطلق الجيش عددًا من العمليات المحدودة في السنوات الأخيرة، ظل الانطباع السائد بين اللبنانيين في شمال شرقي البلاد هو الخوف من عدم

(١) في مطلع يوليو ٢٠١٧م، اتفقت الولايات المتحدة وروسيا على إقامة مناطق تهدئة على طول الحدود السورية، وهي خطة تدعمها الأردن. ونتيجة لآلية وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وروسيا، أجبر حزب الله على الانسحاب من المنطقة، ما أتاح له فرصة استخدام قواته لإحداث هجمة نهائية على المسلحين في المنطقة الحدودية بين سوريا ولبنان.

اتخاذ أي إجراء ضد التنظيمات التي تمتلك صلات مع جماعات متطرفة في سوريا. ونجد أن مثل هذه المشاعر قد سادت تاريخيًّا.

تحولت عرسال ذات الغالبية السُّنِّية، بشكل تدريجي بين عامي ٢٠١٣م و٢٠١٤م، إلى معبر للمركبات المفخخة بهدف إلحاق أضرار بمعاقل حزب الله في لبنان. واضطرت البلاد في تلك المرحلة إلى التعامل مع ثلاثة تفجيرات سُجِّلت فيها مائة حالة وفاة وجُرِحَ مئات آخرون. وشملت هذه التفجيرات هجومًا على السفارة الإيرانية في جنوب بيروت في ١٩ نوفمبر ٢٠١٣م، تلته هجمات متعاقبة على أهداف شيعية وسُنِّية، وهو ما فاقم المخاوف من حدوث ردود فعل انتقامية. لم يُظْهِر تفجير السفارة الإيرانية أثرًا لاستخدام أجهزة للتحكم عن بُعد؛ بل كان من فعل مُفجِّرين انتحاريين على نقيض هجمات طرابلس في ٢٣ أغسطس، والهجمات على معقل حزب الله في جنوب بيروت في ١٥ أغسطس.

وقد أعلنت كتائب عبدالله عزام الجهادية بعدها مباشرة – وهي فرع القاعدة في لبنان –مسؤوليتها عن الهجوم، وحذرت من هجمات مستقبلية في حال عدم انسحاب إيران من الأزمة في سوريا. ومنذ ذلك الحين دعا أنصار السُّنِّي المتطرف أحمد الأسير، الملاحَق من قِبَلِ الجيش، السُّنَّةَ في لبنان إلى دعم إخوانهم في نضالهم في الأراضي السورية. ويشير هذا الاستياء المذهبي المتعمَّد إلى وجود نوع من محاولة «الأخذ بالثأر» ما يزال المتطرفون السُّنَّة في لبنان يحاولون تسويته مع شيعة حزب الله.

وفي هذا السياق، يصبح من الواضح صعوبة تعامل الجيش اللبناني مع الساحة في عرسال، فأيُّ تعاون مفتوح أو الاندماج في وحدة قيادة مشتركة على امتداد الحدود اللبنانية السورية، سيصمُ الجيش بتهمة التواطؤ مع التنظيم الشيعي، وسيؤدي إلى تنامي المخاوف وسط المجتمع السُّنِّي في لبنان. واليوم لا يؤدي عدم اتخاذ الجيش اللبناني أيَّ ردِّ فعلٍ تجاه الأطراف السُّنِّية الفاعلة على الحدود، بالضرورة، إلى تقويض الوضع المؤسسي للجيش في بيروت؛ بل يُفضي إلى إبعاد عدد من الطوائف المسيحية اللبنانية القريبة من عرسال، حيث أصبح النزاع بالنسبة إليهم ملموسًا بشكل خطير.

# إعادة رسم المعادلة الديموغرافية في شمال شرقي لبنان

بالنظر إلى الدور الرئيسي لحزب الله في دعم نظام الأسد في السنوات الأخيرة، أصبح الحزب هدفًا رئيسًا لعدة جماعات متمردة في سوريا ولبنان. وفور انتهاء الحزب من تطهير عرسال ستُفرض سيطرة شبه متواصلة على المناطق الواقعة على الحدود اللبنانية السورية. بَيْدَ أن هذا الإنجاز الاستراتيجي ينطوي على مخاطر متأصلة. فأحد التداعيات الرئيسة الناجمة عن الاشتباك مع مقاتلي فتح الشام في عرسال هو إعلان الحزب أنه سيساعد في منح مرور آمن للسُّنَّة السوريين و«العودة» إلى محافظة إدلب. وفي حين أوضحت وسائل الإعلام التابعة للحزب أن هذا العرض صالح فقط لمن «يرغبون في العودة»[٢]؛ إلا أنه في عدد من المناسبات وصفت المصادر المحلية عمليات النقل هذه بأنها عمليات إجلاء قسري.

في الواقع، توجد أدلة دامغة على أن عمليات الإجلاء هذه تشكل جزءًا من هدف تنظيمي أوسع. وانطلاقًا من

(٢) ذكرت قناة «المنار» التابعة لحزب الله أن ما يقرب من ١٠٠ حافلة كانت قد بدأت في مغادرة بلدة عرسال يوم الأربعاء ٢ أغسطس ٢٠١٧م، وتوجهت إلى فليتا على الجانب السوري. واوضحت الوكالة ان ٢٦ حافلة على الأقل غادرت في وقت سابق مخيمات اللاجئين في منطقة جرود عرسال القريبة وعبرت إلى وادي حميد شمال شرقي البلاد باتجاه الحدود السورية قبل رحلتها إلى إدلب.

خطط بشار الأسد لضمان تثبيت حكمه على أجزاء من سوريا، ارتفع عدد عمليات الإجلاء القسري للمتمردين من المناطق المتنازع عليها إلى الأراضي التي تسيطر عليها قوات المعارضة خلال عامي ٢٠١٦م و٢٠١٧م في سوريا. وبينما مكَّنت هذه التحويلات بشار الأسد من استعادة السيطرة على عدد من معاقل المتمردين – مع وجود إجلاء حلب كأبرز نموذج – إلا أنها أضعفت، بشكل بطيء وثابت، أنماط الديموغرافيات السورية المتعددة الوجوه. وتواجه عرسال الآن المصير نفسه، مع أكبر عودة رسمية للاجئين والمسلحين هذا العام منذ بدء الحرب الأهلية السورية في عام ٢٠١١م. ولَّما كانت الغالبية العظمى من الرحلات نُفِّذَتْ بسرعة وبإشراف محدود من هيئات الإغاثة الدولية، فإن هذه الخطوة ستُعزِّز النظام الديموغرافي الجديد في المنطقة الحدودية السورية اللبنانية.

ستنشغل الأطراف المتقلبة على الحدود اللبنانية السورية في الوقت الراهن بنزوح منهجي للسُّنَّة من الطرفين اللبناني والسوري. أما بالنسبة إلى سوريا، فإن مدينتي دمشق وحلب تخضعان للسيطرة الكاملة من قِبَلِ النظام، وينطبق الأمر نفسه على محافظتي اللاذقية وطرطوس الساحليتين اللتين تضمان غالبية العلويين والمسيحيين في المنطقة. أما لبنان، فليس سرًّا أنه تحمَّل عبئًا هائلًا في استضافة ما يصل إلى مليون لاجئ سوري مسجل لدى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، إضافة إلى عدد كبير من الأفراد غير المسجلين.

ومن ثَمَّ، فإن عملية حزب الله في عرسال نتجت من مطالبة شرعية بإزالة بؤرة تمرد (سُنِّيَّة). وتُشكِّل العملية أحد أعراض الاعتبارات التكتيكية للأسد، التي ضمنت، على مر الأعوام، طرقًا آمنة نسبيًّا لفرار السوريين السُّنَّة إلى لبنان وتركيا والأردن. وإذا كان حزب الله – وهو دعامة أساسية لضمان بقاء نظام الأسد – يطرد السوريين أنفسهم الذين جاؤوا إلى لبنان بموافقة ضمنية من نظام الأسد، فيمكن القول: إن ذلك يُعَدُّ دليلاً على حسابات المعسكر المؤيد للأسد على المدى الطويل.

وباختصار، فإن النظام، بمساعدة من حزب الله، يحفز السوريين السُّنَّة إلى الرحيل إلى مقاطعة إدلب. وفي هذا الصدد، لا يقتصر الطرفان على وصم أي لاجئ سوري موجود في لبنان بشكل ممنهج فحسب؛ بل يُعَرِّض السُّنَّة في لبنان أيضًا للعزلة بإشعارهم بقبضة الحزب الضاغطة على النخبة الطائفية الحساسة في شمال لبنان. وهكذا، يهدف الحزب إلى تأسيس توجُّه يكون هو فيه الوحيد القادر على ضمان أمن الشعب المسيحي والشيعي الكبير في شمال شرقي لبنان. وفي نهاية المطاف، أدى تضافر الجهود بين نصر الله والأسد إلى إيجاد حقائق جديدة على أرض الواقع، وانخفضت أعداد السكان السُّنَّة على جانبي جبال القلمون إلى حدٍّ كبير مقارنة بمستوياتها قبل عام ٢٠١١م.

# وضع النقاط على الحروف: عرسال، القصير، الزبداني، وقضية العمق الاستراتيجي

بالإضافة إلى إزالة بؤرة التمرد، يمتلك حزب الله مرتكزات استراتيجية أخرى مهمة في هذه المنطقة الطرفية؛ فعلى مدار السنوات الأربع المنصرمة، اقتطع منطقة نفوذ لنفسه، تمتد من القصير على طول الحدود وصولاً إلى الزبداني في جنوب سوريا. ومع المكاسب التشغيلية في جرود عرسال، اقترب الحزب من النقطة التي يستطيع فيها إظهار قوة كبيرة على جانبي الحدود الشرقية للبنان.

## دروس من الزبداني

كانت بلدة الزبداني السورية – التي تبعد ثلاثين كيلومترًا شمال غربي دمشق، وتقع في الجبال ويحيط بها وادٍ خصيب – مسرحًا لقتال عنيف متكرر بين مقاتلي الجيش السوري الحر والقوات الحكومية السورية.

خضعت الزبداني لسيطرة الجيش السوري الحر في مطلع يناير ٢٠١٢م، وجَدَّ مقاتلو حزب الله في مساعدة القوات الحكومية السورية لاستعادة السيطرة على المدينة في نهاية فبراير ٢٠١٢م. ومنذ ذلك الحين، ومنطقة الزبداني تتلقى الضربات، إمّا بتجدُّد أنشطة المتمردين السوريين، وإمّا بالعمليات الموالية للحكومة.

وقد وقع أشد المواجهات في يوليو ٢٠١٥م. غير أن الواقع في ساحة المعركة في منطقة الزبداني تغير جذريًّا عمّا كان عليه قبل ثلاث سنوات ونصف السنة. فقد ازدادت المجموعات المنشقة العاملة على الأرض زيادة كبيرة. وفي حين مثَّل الجيش الحر كتلة متماسكة نسبيًّا تعمل حول الزبداني في المراحل الأولى من الصراع؛ إلا أنه بحلول عام ٢٠١٥م تمركز المقاتلون الإسلاميون، الذين ينتمون إلى مجموعات، مثل: تنظيم القاعدة في سوريا، وجبهة النصرة، وأحرار الشام، وجيش الإسلام، والجبهة الإسلامية، وتنظيم داعش، في منطقة الزبداني، وكذلك في الجزء الجنوبي القريب من جبال القلمون.

وفي شهري مايو ويونيو ٢٠١٥م، شنَّ حزب الله هجومًا على القلمون، فقد وعت جميع الفصائل المعنية أهمية هذه السلسلة الجبلية؛ التي تُوفِّر ملاذًا مرتفعًا ومأوى ومحورًا تكتيكيًّا يمكن من خلاله شنُّ هجمات مستقبلية. فمن ناحية، رمت عمليات الحزب إلى احتواء انتشار المقاتلين المحاربين للنظام ومختلف الفصائل الإسلامية نحو الأراضي اللبنانية، والحدّ من تدفق الدعم اللوجيستي والأسلحة والتعزيزات إلى الجبال. ومن ناحية أخرى، شكلت استعادة الزبداني، التي جرت في ٣ يوليو ٢٠١٥م، عنصرًا حاسمًا في محاولة أوسع لربط النقاط وتشكيل منطقة عازلة مؤيدة للأسد على طول الشريط المتنازع عليه من الأرض.

وفي أوائل سبتمبر ٢٠١٥م، مهَّدت نتائج الهجوم الطريق إلى حملة إعلامية محكمة وصفت النظام السوري بأنه قادرٌ على السيطرة على مسار الأحداث بطريقته الخاصة. وكانت الخسائر الجسيمة في الأرواح التي تحمَّلها حزب الله دليلاً على الرغبة العارمة لدى مقاتليه في تعزيز موطئ قدم للنظام في جنوب غربي سوريا.

## دروس من القصير

في حين كانت معظم جهود حزب الله في عام ٢٠١٢م سِرِّيةً في طبيعتها، جاءت معركة القصير، التي اندلعت في أوائل أبريل ٢٠١٣م، أول اختبار عام لتدخُّل الحزب في الأراضي السورية. وعند إعادة النظر نجد العملية تُوفِّر دلائل ذات صلة بأيّ عملية عسكرية شنَّتها الميليشيات بعد ذلك، وتحديدًا العملية الأخيرة في جرود عرسال.

تقع القصير بالقرب من مفترق الطرق للطريق السريع رقم (٥)، الذي يربط دمشق بمحافظتي اللاذقية وطرطوس الشمالية الغربية؛ مرورًا بحمص والطريق السريع رقم (٤)، المؤدي إلى بعلبك في لبنان. وتظهر القيمة الاستراتيجية للقصير هنا واضحة مع اختراق الطريق السريع رقم (٤) وادي البقاع، تلك الأرض الخصبة التي انطلق منها حزب الله في أوائل الثمانينيات. وكما تمثل الزبداني ترابط سوريا ولبنان في الجنوب، فإن السيطرة على القصير تعني الحفاظ على المنفذ إلى وادي البقاع، والسيطرة على امتداد الأراضي التي تشكل قلب الأسد العَلَويّ. وقد استمر الحصار الشرس للقصير في عام ٢٠١٣م أسبوعين ونصفًا، حيث ألحقت القوات الموالية للحكومة بالمتمردين هزيمةً كبرى أجبرتهم على الانسحاب من المدينة عشية الخامس من يونيو ٢٠١٣م.

إن الانتصار الحاسم الذي تحقق في القصير يجعل الاستراتيجية التي يتبعها حزب الله أكثر وضوحًا. فقد استغلت الوحدات شبه العسكرية حقيقة أن المناطق النائية بين القصير والحدود اللبنانية هي موطن قسم كبير من الطائفة الشيعية في سوريا. وفي هذه المناطق،

أثبت الحزب احترافه في إنشاء نظام واسع الانتشار من جيوب دفاع مرنة ومتطورة لاستعمالها مأوى ومرافق للتخزين. وبطريقة مماثلة، استغل الحزب الحالة الطبوغرافية لهذا الشريط من الأرض؛ لذا كانت الطبيعة الجبلية المكتظة بالأشجار عاملًا حاسمًا في أداء مسلحي الحزب في حرب العصابات، وقد مكنها ذلك من العمل سرًّا وإخفاء مجموعة واسعة من مراكز القيادة. واستنادًا إلى أكثر من عشرين عامًا من الخبرة في حرب منخفضة الكثافة ضد إسرائيل في بيئته الطبيعية في جنوب لبنان، تفوق حزب الله في حربه الحضرية وحرب العصابات.

لقد نجح الحزب في فن التمويه وإدخاله إلى المناطق المدنية وإخفاء فِرَقِهِ العاملة ومعداته داخل هذه المناطق، وهو ما كان مفيدًا في توفير مساحات للاختباء والحماية. ونتيجةً لذلك، انخفض مستوى الضعف المباشر في الميدان.

# الخلاصة

بالنظر إلى الأحداث السابقة فإن الدروس المستفادة من المعارك التي جرت في القصير عام ٢٠١٣م، وفي الزبداني عام ٢٠١٥م، وفي عرسال عام ٢٠١٧م، هي تأكيد قدرة حزب الله المتصاعدة في تأمين محاور جغرافية لبقاء النظام السوري وإطالة عمر سيطرة الحزب العسكرية في لبنان. ومع نجاح عملية الحزب في عرسال سيطر على محور استراتيجي آخر على الحدود اللبنانية السورية، وتمكَّن من الحفاظ على خطوط الإمداد من إيران وسوريا إلى معاقله في لبنان.

وبالنظر إلى الصورة الشاملة للأحداث، فإن محاولات الحزب الناجحة تعمل على تخفيف حدة الفوضى المتصاعدة في القلمون، وتضع استراتيجية أوسع نطاقًا ليتبعها النظام السوري ووكلاؤه في لبنان بإصرار، تشمل النقاط التالية:

أولاً: توفير عمق استراتيجي من خلال تأمين طرق عبور حيوية تربط العاصمة السورية بظهيرها الاستراتيجي في لبنان.

ثانيًا: تحسين قدرة الحزب على الصمود من أجل الحفاظ على سيطرته على الأراضي المتنازَع عليها التي تربط المناطق الساحلية المتوسطية، التي يتحكم فيها العلويون في شمال غربي سوريا، مع المجال الجنوبي الغربي على طول الحدود اللبنانية.

ثالثًا: العملية الأخيرة للحزب تحمل تداعيات محلية واضحة فيما يتعلق بالعلاقات العسكرية.

ومن المؤكد أن كلًّا من حزب الله والجيش اللبناني يدرك التعقيد الطائفي الذي شكَّل الواقع الشاق للسكان اللبنانيين المحليين، وكذلك اللاجئين السوريين في عرسال. ويهدف الحزب إلى الحفاظ على علاقات التعاون مع الجيش اللبناني على المستوى التنظيمي، في حين لا يجد حرجًا في المطالبة بضبط النفس حين مواجهة الجيش اللبناني على نحو مستقل، وهو ما يراه اللبنانيون خطرًا واضحًا وشيك الحدوث على طول الحدود الشرقية في السنوات الأخيرة. ولم يعلن الجيش اللبناني إلا في أوائل أغسطس ٢٠١٧م عن تكثيف جهوده في الاستيلاء على التلال التي يسيطر عليها تنظيم داعش حول عرسال ورأس بعلبك.

ولكنَّ هذا لا يُعَدُّ تحوُّلاً جوهريًّا في موقف الجيش اللبناني الطويل الأمد والأكثر حذرًا تجاه المسلحين المتمترسين على طول الحدود اللبنانية السورية. فقد أثبت حزب الله أنه أكثر مرونةً وسرعةً في أخذ زمام المبادرة في تشكيل تصورات أفعاله، وبالتالي استحضار نهج أكثر جرأة من الجيش اللبناني في أعقاب قيادة الحزب الجهود الرامية إلى طرد قوات الأمن المشتركة من عرسال.

إن السُّبل التي يستخدمها حزب الله، وترمي إلى تجميل صورته في أعين ناخبيه تحقق تقدمًا. وهي تشمل، على سبيل المثال: جولة ميدانية واسعة النطاق عرضها الحزب على أهل الصحافة في وسائل الإعلام الوطنية والدولية حول عرسال تُصَوِّر إنجازاته التكتيكية في ساحة المعركة. إضافةً إلى ذلك، فإن الحزب يبذل ما في وسعه للتهوين من الإصابات التي لحقت بصفوفه في سوريا، وتمجيد المصابين على أنهم شهداء، مثلما حدث مع الضجة المثارة حول الخسائر التي لحقت به في عرسال. والرسالة المقصودة واضحة: أمنُ لبنان منوط بحزب الله، وليس بالجيش اللبناني وحده؛ وهو جيش الدولة الذي يجب أن يتحمل المسؤولية الكاملة لضمان السيادة على الأراضي اللبنانية.

إن حزب الله سيظل يُنظر إليه على أنه فصيلٌ لا غنى عنه في تأمين حدود البلاد، والأهم من ذلك: فصيلٌ له قدرة لا مثيل لها على إملاء الخطاب العام في لبنان لصالحه.

# مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية هو مؤسسة مستقلة غير حكومية تأسست في الرياض بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ويسعى المركز -وفقاً لرؤية الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز- لكي يكون منصةً يجتمع من خلالها الباحثون والمؤسسات لإنتاج ونشر أعمالهم البحثية وحفظها وإثراء الحياة الثقافية والفكرية بالمملكة العربية السعودية، وتيسير التعاون عبر الحدود الجيوسياسية. ويشغل منصب رئيس المركز حالياً صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، كما يشغل الدكتور سعود بن صالح السرحان منصب الأمين العام للمركز. ويقدم المركز أبحاثاً تفصيلية حول القضايا السعودية المعاصرة والدراسات السعودية والدراسات الخاصة بشمال إفريقيا والمغرب العربي والدراسات الإيرانية والآسيوية ودراسات الحداثة ودراسات الطاقة ودراسات اللغة العربية. وينظم المركز مؤتمرات، ويتعاون مع مراكز البحوث المرموقة في كل أنحاء العالم، ويعمل فيه مجموعة من الباحثين المتميزين، وعلى اتصال بمجموعة واسعة من الخبراء المستقلين في مختلف التخصصات. كما يضم المركز مكتبةً تحتوي على مخطوطات نادرة، ومتحفاً للفنون الإسلامية، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامجاً للطلاب الوافدين. ويهدف المركز إلى توسيع نِطاق الدراسات والأبحاث الحالية لجعل الإسهامات والدور الذي لعبته المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والأدب تاريخياً -ولا تزال تلعبه حتى الآن- تتصدَّر النقاشات الأكاديمية والبحثية.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

ص.ب ٥١٠٤٩ الريـــــاض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٥٧٧٦١١ (١١ ٩٦٦+) تحويلة: ٦٨٩٢ فاكس: ٤٦٥٢٢٥٥ (١١ ٩٦٦+)
بريد إلكتروني: masarat@kfcris.com